الاتصال الشفوي المتداول في سورية من خلال الاذاعة والتلفزيون(*)

ترجمة : ماهر عبد القادر
جامعة حمص

الهدف من هذا المشروع العلمي هو البحث والتعرف على أساليب اللغة العربية المتداولة في الإذاعة والتلفزيون السوريين من قبل المذيعين ، في المقابلات والأحاديث الصوتية والمرئية .

إن أهمية هذا المشروع تنبع من حاجة المعلمين العرب لأن يدركوا ويقدّموا قيمة استعمال أساليب النطق المختلفة ، التي تحدّد كيفية الاتصالات الرسمية وتمييزها من المحادثة العامية وإن اختيار الجمهورية العربية السورية ـ بالذّات ـ لهذا المشروع العلمي سببه أن سوريا نفسها تدعّم استعمال العربية الفصحَى كأسلوب اتصال شفوي في الثقافة والإعلام الإذاعي .

تقول د. كارولين : ومن المتوقع أن الاختلاف في الأسلوب ـ أسلوب اللغة ـ سيكون في سوريا أقلّ أهمية مما صادفناه في مصر ، أثناء قيامنا ببحث علمي مشابه فيها عام / 73 ـ 1974 / حيث أن اللغة المتداولة في سوريا أقرب إلى العربية الفصحَى التي تستعمل من قبل العرب جميعاً ، في اتصالاتهم الكتابية .

ففي مصر حين نشرت بعض النصوص عام /73 ـ 1974/ باللهجة المصرية كانت أقرب إلى العامية ، أو أنها كانت عامية تماماً إذا ما قورنت بالنصّ الأصلي المكتوب بالفصحَى ـ وباعتبارنا أساتذة في اللغة العربية ـ فنحن نبحث باستمرار عن استعمال شفوي متماسك للغة العربية ، نرشد به طلابنا ... ويجب أن ينعكس عن هذا استعمال عملي في العالم العربي المعاصر كلّه .

ونأمل أن تساعدنا نتائج هذا البحث العلمي كثيراً في هذا الصدد .

خلفية هذا البحث :

في جميع البلدان التي تتكلم باللغة العربية هناك ظواهر استعمال للغة الفصحَى بشكل جزئي وعفوي في المحادثات انعامّة .

ولكن من الصعب جداً تصنيف هذا الفصيح المتداول وضبطه بشكل دقيق . حيث لا توجد نماذج ثابتة من الكلام تتوزع بشكل جغرافي وبشكل مميّز من منطقة إلى أخرى ، وإنما يختلف الأمر حتّى بين شخص وآخر في هذا الاستعمال .

(*) مشروع بحث علمي كلفت به الباحثة الامريكية (د. كارولين ج. كيللين) من قبل ـ جامعة شيكاغو ـ / تجدون النص الانجليزي في باب : أبحاث ودراسات بلغات أجنبية ، من هذا العدد .

وقد اختيرت نماذج وعيّنات بشكل غير منظّم وأجريت تحاليل إحصائية ووضعت تصنيفات على مستويات مختلفة .

إلّا أن حظّها من التوفيق كان قليلاً جدّاً ـ على حدّ قول د. كارولين ـ وتذكر من هذه الإحصائيات ما قام به كلّ من : (الحسن 77 ـ 1978 . مايسيليس وميتشيل 78 ـ 1980 . وسلّام) .

أما هذه الدراسة ـ تقول د. كارولين ـ فهي ستركز على وضعية واحدة ، ذلك لأن المشاركين سيواجهون ارتباكاً في الحديث بسبب وجود (المايكرفون) .

كما أن هناك إختيار مدروس لأسلوب الكلام الذي سيصنّف بشكل مهذّب مثقّف ، أو بشكل مغلوط (سفسطائي) .

وبسبب تزايد ونموّ تأثيرات الوسائط الشفوية (الإعلامية) في العالم العربي ، فإن هذا الأسلوب ـ أسلوب المذيعين ـ الممارسين والمدرّبين مهنياً بشكل جيّد هو نموذج يحتذى ويقتدى به من قبل العرب الآخرين الذين يحاولون التظاهر بالحضارة والثقافة والرقي .

وتشير د. كارولين إلى أن حظّ المذيع من الحرية يكون قليلاً جدّاً فهو لا يملك حق استعمال الأسلوب الذي يريده في الأداء ، وهو خاضع لزمان ومكان معينين ولشروط مسبقة وصحيح أن المادة المقروءة بصوت مرتفع تكون أكثر وضوحاً ، إلا أن هذا يغدو أمراً قليل الأهمية ، إذا ما قورن ببقية الشروط المفروضة على المذيع .

وتذكر د. كارولين : إنها اتبعت هذا الأسلوب من البحث العلمي ، مع المذيعين في هيئة الإذاعة والتلفزيون عام / 73 ـ 1974 / ووجدت أن نماذج الكلام المنطوق بالعربية والتي سجلتها من خلال المقابلات التلفزيونية ، كانت مثالا واضحاً لهذا النوع المختلط من اللغة العامية والفصحى والعامية البحتة ، بشكل لا يمكن استخدامه كأسلوب تعليمي في الجمهورية المتحدة (مصر) . إن الإختلاف في استعمال مادة لغوية معيّنة مثل ـ أسماء الإشارة ـ شيء هام بالنسبة للغويين ، ولكنه لا يشكّل مسعفاً كبيراً بالنسبة للباحثين في اللغة العربية ، الذين يحاولون ضبط ظاهرة (الثنائية اللغوية وتنظيمها في العالم العربي) .

ومن المتوقع أن وسائط اللغة الشفوية السورية ستكون أقرب إلى أسلوب التدوين الكتابي (الفصيح) ولذلك فإن طلاب العربية في تلك المنطقة سيستفيدون من سماعها دون إغراق في العاميّة ، أو اللهجة المتداولة .

بحث الأساليب العلمية :

تقول د. كارولين : إنها ستقوم بتجربة لتحقّق من جرّائها تعميمات صحيحة ، وذلك بأخذ نماذج مكوّنة من ستة مذيعين (ثلاثة من كل جنس) إذا أمكن ، وتدريبهم لمدة ستة أشهر أو أكثر لكي يتعلموا ويتعوّدوا على مقابلات مختلفة الوضعية وتسجّل لكلّ منهم مقابلات ـ مقدار نصف ساعة لكل مقابلة ـ وتذاع تلك الأجزاء مرتين قبل بدء التحليل (في النسخة الأولى سيدون جزء من مسرحية عربية) . وتحتاج إلى مشرف صاحب خبرة وتجربة في مجال علم اللغة أو (اللسانيات) .

وقد قرّرت أن تتصل بالدكتور (مازن الوعر) لتجد فيه خير مشرف ومساعد ؛ فالدكتور مازن الوعر ـ تقول د. كارولين ـ كان قد تدرّب في جامعة (جورجتاون) في الولايات المتحدة الأمريكية ، وحصل على درجة الدكتوراه في علم اللغة (اللسانيات) وسيكون مفيداً جدّاً في مراقبة هذا المشروع كي لا يتعرض لردّ فعل فعل بيروقراطي .

وقبل اكتمال النسخة الأولى هذه سيعاد نقل النموذج على شكل (رموز صوتية) وتلاحظ الأشكال التي تبتعد عن الصيغة العربية الأصيلة (الفصحى) . وهذه النسخ

ستظهر بوضوح طبيعة المقابلة والمحادثة العفوية ــ النصف قواعدية نحوية ــ وقد تظهر في سياق الحديث جمل غير تامة . وتقول د. كارولين : إنها ستختار هذا النموذج من منتصف المقابلة بعد أن يكون كل من المضيف (المذيع) والضيف قد اجتازا مرحلة المادة (المحفوظة غيباً) وانتقلا إلى التكلّم بعفوية (بشكل ارتجالي) ولن تكتفي بدراسة المذيعين الستة الذين هم أساس التجربة ، وإنما ستضيف إليهم أربعة أو خمسة مذيعين آخرين ، وتسجّل لهم مقابلات وتقوم بدراستها أيضاً وذلك من أجل تعميم التجربة والحصول على نتائج أوسع شمولية ، وستقوم بالتفتيش عن (الطفليّات العامية) التي تدخل في سياق كلام عربي فصيح .

نشر النتائج :

وستقوم د. كارولين بكتابة نتائج هذه الدراسة وتدوينها أثناء وجودها في دمشق . وستبحث النقاط المشكوك فيها أو الملتبسة بالتعاون مع الدكتور الوعر المشرف على البحث العلمي . وهي تنوي أن تكتب مقالة تحيلها إلى مكتبة سلسلة علم اللغة العربية التي بُدِئ بتأسيسها في إنكلترا .

تدريب اللغة :

كتحضير لهذا المشروع العلمي ستحضر د. كارولين المقرّر التعليمي الصيفي للغة العربية الفصحى والمعطى في كلية (ميدل بوري) في الولايات المتحدة في صيف / 1983 / حيث تقام دورة مدّتها تسعة أشهر ، يتعهد فيها الأساتذة والطلاب التحدّث ــ فقط بالعربية الفصحى ــ في دراسة جدّية وشاقة للغربية . وتقول د. كارولين : إنها تمكّنت من فهم أبعاد اللغة ومضامينها في ذلك الأسلوب الكتابي التدويني ، وإنها تشعر باستعداد جيّد وقدرة على التمييز تساعدها وتمكّنها من خوض غمار هذا البحث بشكل ممتاز .

وهي تنوي أن تبدأ بدراسة اللهجة العامية في سورية خلال هذه السنة الجامعية مع أنها تتكلّم حالياً اللهجة المصرية .

وستستعين بمدرّس مختصّ على دراسة الكتاب المدرسي المسمّى (عربية الهلال الخصيب) كي تحرز تقدماً جيداً قبل أيلول / 1984 / .

وتتوقع د. كارولين أن تعلّم اللهجة العربية السورية سيتم بصورة أكمل بعد وصولها إلى دمشق .

نفقات المشروع :

تقول د. كارولين : إنها ستحتاج في بحثها إلى رصيد مالي لشراء أشرطة تسجيل من النوعية الممتازة مع جهاز تسجيل ليستخدمه المساعد في عمله ، وليقتن راتباً معقولا من أجله . وتحتاج أيضاً لاستعارة جهاز تلفزيون .

*